الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

بشأن ما كتبه فلك الدين كاكه يي..

لمصر الناصرية غرض في تأييد الثورة الكردية

رشيد الخيون

كتب المثقف والوزير فلك الدين كاكه يي في جريدة "المدى" البغدادية سلسلة مقالات عميقة وثرية المعلومات؛ تحت عنوان "آراء وأفكار.. في العلاقات التضامنية للشعب الكردي". وقد تابعت الغالب منها واستفدت كثيراً من شرحه للموقف الإسلامي السياسي العربي والعراقي، من فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. وبالفعل هناك أممية إسلامية تتجاوز القومي الكردي والوطني العراقي، ولستُ بصدد ذلك، فالحديث ذو شجون. إنما يتحدد تعقيبي على الصديق فلك الدين على ماورد في (القسم التاسع والعشرين) من سلسلة آرائه وأفكاره، التي تنشر في "المدى" تباعا، وهو المعنون بـ "الكرد ومصر".

وقبل هذا أود التنويه إلى أن فلك الدين كاكا يي، من المثقفين الأصلاء، ذوي المعرفة الواسعة، والعقل الثاقب، والخبرة في الكتابة، وقد ظل أميناً لمجاله الثقافي والمعرفي، على الرغم ما تؤدي به السياسة عادة إلى هموم أخرى، تصبح بينها الثقافة من الثانويات لا الأساسيات. كتب فلك الدين مبكراً تحت اسم الحلاج، والأخير، كما هو معروف شخصية إشكالية، يجمع بين السياسة والتصوف، حتى حُسب على القرامطة، بل عُدَّ مؤسساً للحركة القرمطية، على أنه وهو الذي دفع حمدان القرمطي، المزارع وصاحب الثيران بسواد الكوفة، إلى عالم السياسة والثورة، وبعد إعدام الحلاج (٣٠٩هـ) غابت معه أسرار كثيرة.

لفت توقيع فلك الدين كاكه يي لمقالاته باسم الحلاج نظر الباحث القدير الراحل كامل مصطفى الشيبي، ابن مدينة الكاظمية وصاحب السفر الثري "الصلة بين التصوف والتشيع"، حتى أخذ الشيبي يبحث عنه، لعلّه يجد حلاجاً حفيداً. ومن جانبي غرفت من علم فلك الدين كاكه يي، الكثير في شأن المذاهب والأديان، في لقاء حميم جمعني معه بأربيل، على هامش احتفاليات المدى الثقافية (أيار ٢٠٠٧)، ومن قبل على هامش مئوية الجواهري، التي أُقيمت بأربيل والسليمانية (تشرين الأول ٢٠٠٠)، وقد وثقتُ ذلك في كتابي "المجتمع العراقي.. تراث التسامح والتكاره" (معهد الدراسات العراقية ٢٠٠٨).

بعد هذا أتي على ما ورد في مقال فلك الدين حول التضامن المصري، أيام الرئيس جمال عبد الناصر (ت ١٩٧٠) والثورة الكردية، وما اعتبره فلك الدين تضامناً خاصاً لم تألفه الحركة الكردية، ولا الكرد عموماً من القادة العرب، أو شعوبها. وهنا لا أخفي حبي لعبد الناصر، كشخص، ذلك لنزاهته القصوى في حياته الخاصة، ولم يعرف شخصه ولا ذووه الفساد المالي والإداري، فهو الذي ترك أباه (بوسطجي)، لما أراد الأعوان تعيينه في مركز ما، فقيل إنه قال لأبيه: "يريدون أن يشتروني بك"! وهي الناحية نفسها التي عمقت عاطفتي نحو الزعيم عبد الكريم قاسم، عندما ترك أخاه في عمله صاحب مكوى (أوتجي)، وترك الآخر نائب ضابط مثلما كان، بل وتبين أن ثروة أخيه التاجر حامد قاسم قلت كثيراً على ما كانت عليه في العهد الملكي، أي قبل ثورة ١٤ تموز. وليت مسؤولينا اليوم يجعلوننا نحبهم لهذا السبب.

لكن، لا أجد نفسي منساقاً في حب وتقدير جمال عبد الناصر في سياسته وأفكاره، وتصديره للثورة هنا وهناك، لتوحيد الأمة العربية، التي يصعب أن أجد لها دولة واحدة شاملة عبر التاريخ، لهذا الذي يسمى الوطن العربي، من المحيط إلى الخليج، بل يتجاوز على التاريخ مَنْ ينساق بسياقات تاريخية قومية غير صحيحة. فالعرب، والدول العربية اليوم، كانت ضمن إمبراطوريات شاسعة، جمعت العرب والفرس والهنود والألبان والكرد وإلى آخره من الأقوام. ولا أعتقد أن تركيا محقة في تسميتها بهذا الاسم، لأن آسيا الصغرى خليط من كل الأقوام والشعوب!

لديَّ أكثر من سبب في براغماتية عبد الناصر في تشجيع أو دعم ثورة الكرد العراقيين أيلول ١٩٦١. فيومها كان هدف عبد الناصر إسقاط حكومة عبد الكريم قاسم بأي ثمن. ولا تخفى على صديقنا العزيز فلك الدين كاكه يي فتاوى الأزهر بتوجيه من عبد الناصر بتكفير حكومة ثورة ١٤ تموز، وقد أتيت عليها مفصلاً في كتابي "لاهوت السياسة.. الأحزاب الدينية بالعراق" (٢٠٠٩). وهنا أكتفي برد علماء الدين العراقيين، من المذهبين، ومن المؤيدين لثورة ١٤ تموز على الدعاية المصرية ضد العراق: «مازال رجال الدين في الجمهورية العراقية على اختلاف مستوياتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم يواصلون الاجتماعات والاتصالات للتداول في الأمور التي تهم المسلمين، وتخدم مصالح الشعب، وخاصة في ما يتعلق بالحملات التي تشنها محطات الإذاعة في دمشق والقاهرة وصوت العراق (إذاعة معارضة قومية)، ومن التضليل والتهويش والمفتريات (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون) ضد جمهوريتنا المسلمة، وقائدها الأمين عبد الكريم قاسم ... ومن المؤسف أن يتخذ عبد الناصر الأزهر الشريف وسيلة لتحقيق مآربه ومطامعه وإسناد أكاذيبه بفتاوى دينية، وتقضي بتجريد صفة الإسلام عن المسلمين المخلصين، وإثبات الإسلام لعبد الناصر فقط...»(جريدة اتحاد الشعب، العدد ٤٩ المؤرخ في ٢٥ مارس (آذار) ١٩٥٩).

كذلك من المعروف أن الثورة (أيلول ١٩٦١) ما كان توقيتها مناسباً، وحتى الراحل الملا مصطفى البارزاني (ت ١٩٧٩) ما كان مندفعاً في ذلك التوقيت، إنما هناك مَنْ دفع باتجاها وأيدتها مصر بقوة، لاضعاف حكومة عبد الكريم قاسم، الذي رفض الوحدة الفورية، وتأكد صحة ماذهب إليه، وما ذهب إليه الحزب الشيوعي العراقي آنذاك: الاتحاد لا الوحدة الفورية، وذلك أن السلطة أصبحت بيد دعاة تلك الوحدة، من القوميين الناصريين والبعثيين، لكنهم لم يتقدموا خطوة باتجاه تلك الوحدة، بل على العكس.

ولستُ أنا الذي أقول أن توقيت ثورة أيلول غير مناسب، وفيه من الاندفاع الذي أضر وسرع بمجيء سلطة حزب البعث، التي أعلنت إبادة الكرد في ١٩٦٣ بعد أن جرى الاتفاق بين القوى القومية العروبية وثوار أيلول الكرد أن يمنح الكرد الحقوق القومية، وما أن وصلوا إلى سدة السلطة حتى اشعلوا الحرب الشعواء ضد الكرد، ليدخل العراق في فصل معتم من الفصول السياسية. قلت لست أنا الذي أقول إنما شاهد عيان في قلبه من الشجاعة والصدق، قالها للتاريخ، ألا وهو الرئيس مسعود البارزاني.

قال: «كنت في قرارة ضميري أتمنى أن لا تنشب ثورة أيلول في عهد عبد الكريم قاسم. وإنه إذا قُدر لها أن تنشب فلتكن قبل عهده أو بعده. ولربَّما عذرني القارئ عن خيالي هذا حين يدرك أنه نابع عن الإحساس بالفضل العظيم، الذي نُدين به لهذه الشخصية التاريخية، وأنا أقصد الشعب الكُردي عموماً، والعشيرة البارزانية بنوع خاص» (البارزاني، البارزاني والحركة التحررية الكُردية ٣ ص٢١).

وقال أيضاً: «فالثورة التي قادها في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ كانت سبباً لتحرير مولانا الشيخ أحمد (البارزاني) من السجن بعد قضائه أحد عشر عاماً فيه... وبإصرار من عبد الكريم قاسم تم وضع المادة الثالثة من الدستور المؤقت الصادر في ٢٧ تموز، التي أقرت لأول مرة في تاريخ الدولة العراقية بل في تاريخ كردستان بشراكة العرب والكُرد في الوطن الواحد» (المصدر نفسه).

يتذكر أستاذنا فلك الدين كا كه يي، ماحصل في إحتفاليات أربيل وفاءً لمحمد مهدي الجواهري، الذي ظل حتى وفاته يعتمر لرأسه غطاءً كردياً مهدي من الرئيس جلال الطالباني، قبل رئاسة الجمهورية وقبل رئاسة حزب، أقول هذا للتأكيد أن الجواهري كان مخلصاً لدعم الحقوق الكردية لا لسبب آخر، حيث لم يخلع ذلك الغطاء حتى أثناء حرب ١٩٧٥ ضد المنطقة الكردية، وهو ببغداد. يتذكر أستاذنا كا كه يي كلمة الشخصية المصرية المعروفة حسين عبد الرازق في حفل تكريم ألجواهري، وكيف كانت متأثرة بالخطاب الناصري عموماً، عندما قال من على المنصة: "الأكراد جزء من الأمة العربية"! وحينها أعتلى وزير الثقافة آنذاك، والآن، فلك الدين كاكه يي، ورد تلك الكلمة، وكانت القاعة المملوءة بالمثقفين العراقيين من العرب صاحت صيحة واحدة لا لهذا الاحتواء. مع علمنا بطيبة المثقف المصري حسين عبد الرازق، لكنها ثقافة الحقبة القومية بمصر ومخلفاتها.

من جانب آخر، ماذا فعل الرئيس عبد الناصر للكرد بسوريا، هل سَنَّ لهم قانوناً في الحقوق القومية عندما كان رئيساً لسوريا ومصر أي الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨- ١٩٦١)، ولماذا انطفأ التأييد المصري للكرد خلال الفترة القومية العراقية (١٩٦٣- ١٩٧٠)، أي من انقلاب ٨ شباط وحتى وفاة عبد الناصر. بل ورد السلاح المصري إلى العراق للحرب ضد الكرد، وأنهم لم يوافقوا على دخول فوجهم المصري، الذي وصل بغداد لإتمام خطوات الوحدة، التي لم تحصل، خشية من حرب الجبال، والرأي العالمي، بل وصول تلك القوات إلى العراق، أعطى الفرصة إلى الجيش العراقي بتكثيف الحرب ضد المنطقة الكردية، ولم ينقذ الموقف إلا رئيس الوزراء الراحل عبد الرحمن البزاز (ت ١٩٧٣)، وذلك في خطوته نحو السلام المعروفة.

هنا أذكر للصديق فلك الدين معلومة، قد لم تأت في مذكرات المصريين، إلا أني أخذتها نصاً من على لسان سفير مصر بالعراق أمين هويدي مباشرة. التقيت به في مؤتمر أقامته المعارضة اليمنية، عقب حرب الشمال ضد الجنوب (١٩٩٤)، والمكان لندن والتاريخ (تشرين الثاني ١٩٩٥)، وكان الأستاذ فخري كريم والأستاذ نوري عبد الرزاق والراحل الأستاذ عامر عبد الله من المشاركين.

ولما نزل أمين هويدي من على منصة المؤتمر تقدمت إليه بالسؤال، بعد أن سمعته استشهد بعبد الناصر ودوره باليمن في الستينيات، من القرن الماضي. قلت له: "نحن العراقيين لا نكره جمال عبد الناصر، ولكن كيف وصلتنا عشرون ألف رشاش بور سعيد ووزعت في الشوارع وقتلت ما قتلت من الشباب، حتى من حامليها لجهل استخدامها، وأنت كنت سفير مصر ببغداد"!

أجابني بحدة: "أنا"! قلت له "أنت! قال بلغته المصرية: "الله أول أنا يأولي كيف"! ثم قال: "جلبنا تلك الكمية من رشاشات بور سعيد لمساعدة الحكومة (شباط ١٩٦٣) في القضاء على الأكراد". ثم استدرك بالقول: "لا أقصد الأكراد إنما أقصد الحركة الكردية في شمال العراق. ولما عرف عبد الناصر أنها وزعت على الحرس القومي بشوارع بغداد، ولم تستخدم لغرضها، زعل أكتير من حازم جواد والآخرين" (لندنَ، كاليري بروناي- جامعة لندن، أوائل تشرين الثاني ١٩٩٥). أقول هذا ولم أزد أو أنقص كلمة، وليت الزمن يجمعنا بأمين هويدي ثانية، وبحضور صديقنا فلك الدين كاكه يي.

هناك الكثير ما يُقال حول الموقف المصري الناصري، فهدف وحدة الأمة العربية وزعامتها من قبله، كان هو الأول في ذهن عبد الناصر. وأظن أن استاذنا فلك الدين سمع إذاعة الموصل تذيع (١٩٥٩): "هنا صوت الجمهورية العربية المتحدة من الموصل"، أي فصلها عن العراق. وقس على ذلك من ممارسات. ومع ذلك لا أذكر عبد الناصر إلا بعاطفة جميلة، لنزاهته الشخصية، ولا يؤذيني منه إلا سياسته، التي كانت تعبر عنها إذاعته "صوت العرب" الموجهة ضد العراق الملكي والجمهوري، ليحصل ما حصل لنا.

وأتمنى أن تصدر تلك الآراء والأفكار، التي أبحر فيها الأستاذ فلك الدين كاكه يي، شاهد عيان وباحث مدقق، في كتاب يغني ما ينقص المكتبة، مما خفي في تلك المراحل وحوادثها الساخنة.

الرئيس الكوري المنتحر.. من مكافح للفساد إلى متهم به

د. عبد الله المدني

في نهاية كانون الاول/ديسمبر ٢٠٠٢ كان رئيس كوريا الجنوبية المنعوت بأكثر زعماء آسيا ثقافة وإطلاعا "كيم داي جونغ"، يحزم أمتعته تاركا بيت الرئاسة الأزرق في سيئول لخلفه في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٢، "روه مو هيون". كان الأخير قد فاز بحوالي ٤٩ بالمئة من أصوات المقترعين وتقدم بحوالي ٢,٣ نقطة عن اقرب منافسيه "لي هو تشانغ" زعيم اكبر أحزاب المعارضة (الحزب الوطني الكبير)، والحقيقة أن روه أثناء حملة الانتخابات الرئاسية استخدم الأزمة القائمة ما بين بيونغيانغ وواشنطون واحتمالات أن تتحول الى مواجهة عسكرية يستخدم فيها الكوريون الشماليون أسلحتهم النووية ضد سيئول الحاضنة لنصف سكان كوريا الجنوبية والواقعة على بعد ٣٥ ميلا فقط من جارتها الشمالية، للترويج لنفسه باعتباره الوحيد القادر على حل المشكلة بالحوار والوسائل السلمية.

وكان في هذا يراهن أولا على عدم وجود تحفظات عليه من قبل النظام في الشمال كونه عرف دائما بدفاعه عن مواطنيه المتعاطفين مع الأخير، ويراهن ثانيا على ما تمثله بلاده من أمل وحيد تقريبا أمام الكوريين الشماليين للحصول على مساعدات تخفف من عزلتهم ومشاكلهم الاقتصادية، ويراهن ثالثا على عدم وجود خيارات أخرى أمام واشنطون المشغولة على أكثر من جبهة سوى القبول بالتفاوض عبره مع الشماليين.

ولا شك في أن مثل هذه الشعارات جذبت الكثيرين نحو روه ولا سيما من فئة الشباب ممن ألهم تراجع زخم المد القومي والسلام في شبه القارة الكورية بعد إدراج إدارة الرئيس جورج بوش الابن لكوريا الشمالية في "محور الشر"، لكنها لم تقابل بالترحيب المطلوب، لا من نظام "كيم جونغ إيل" ولا من قبل إدارة بوش. فبدلا من أن تشجع بيونغيانغ هذا المنحى لدى الرئيس الجنوبي المنتخب وتقابل عزمه على مواصلة ضخ المساعدات من الجنوب إلى الشمال بتحديد موعد لزيارة "كيم جونغ إيل" المؤجلة إلى سيئول كنوع من التقدير، واصلت خطابها المبني على اعتبار ملف الاستراتيجيات العسكرية في شبه الجزيرة الكورية ملفا لا يجدي التفاهم حوله إلا من خلال محادثات بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة المهيمنة على صنع القرار في الجنوب. أما بالنسبة لرد واشنطون البارد، فلم يكن منطلقا فقط من سياستها القائمة على حرية الدفاع عن مصالحها في شبه القارة الكورية بالطريقة التي تراها وحدها مناسبة، وإنما أيضا من شكها في توجهات الرئيس المنتخب.

فالأخير، فضلا عن لهجته الناعمة تجاه الشمال وعدم اتفاقه مع واشنطون على ضرورات عزل النظام الكوري الشمالي وقطع الدعم عنه حتى يرضخ ويلغي برامجه النووية، عرف عنه في التسعينيات دعوته الصريحة إلى رحيل ٣٧ ألف جندي أمريكي عن بلاده وتصفية قواعدهم، وان غير لهجته بعد فوزه بالرئاسة فطالب فقط بسن تشريعات جديدة تحكم التواجد الأميركي فوق الأرض الكورية وتمنح الدولة المضيفة سلطة أكبر عليهم. كما عرف عنه لاحقا معارضته الشديدة لسياسات واشنطون في العراق و أفغانستان، رغم إبداء إعجابه في اكثر من مناسبة بالولايات المتحدة ومؤسساتها وديمقراطيتها.

أن الشرق الآسيوي، بانتخاب روه مو ميون رئيسا لكوريا الجنوبية، أعطي مرة أخرى نموذجا في قدرة البسطاء والمقهورين على بلوغ قمة السلطة عبر أدواتهم وجهودهم الذاتية ودونما حاجة الى نسب رفيع أو سند قبلي أو ميزة طبقية أو خزائن من المال. فالرئيس الكوري الجنوبي لم يكن سوى ابن فلاح فقير تعلم كيف يتسلق سلالم المجد وأين يضع قدمه في كل خطوة، وكيف يصبر على أهوال الطريق في رحلة الصعود وكيف يطرد اليأس والإحباط إن فشل في إصابة الهدف مرة أو مرات، تماما كما يفعل هواة تسلق الجبال والبولينغ، وهما مجالان لا ثالث لهما في قائمة هواياته المحببة.

لقد كان من الممكن أن يغادر الرئيس "كيم داي جونغ" الذي لم يستطع بحكم مواد الدستور الترشح لفترة رئاسية ثانية، مقره مرفوع الرأس يسنده تاريخ سياسي ونضالي ناصع وموهبة قيادية فذة (الأمر الذي تجسد في نجاحه في إعادة العافية سريعا إلى الاقتصاد الكوري الجنوبي بعد الهزة النقدية الآسيوية في عام ١٩٩٧) وجرأة غير مسبوقة في طرح المبادرات (مثل مبادرة ذهابه إلى عاصمة الشطر الشمالي في عام ٢٠٠٠ لعقد أول قمة بين الكوريتين منذ تشطيرهما) لولا تورط نجليه في فضائح مالية وأعمال عدت من قبيل استغلال النفوذ. لكن عزاء الرئيس داي جونغ وهو يغادر منصبه تمثل في انتقال السلطة منه إلى رئيس جديد ينتمي إلى حزب هو مؤسسه ورئيسه، ونعني بذلك حزب الألفية الديمقراطي، مما كان يعني ضمنيا فشل المعارضة في النيل منه على خلفية قضية الفساد المثارة ضد نجليه.

والمفارقة هي أن الرئيس "روه مو هيون" لئن كان مثل سلفه لجهة النضال الطويل من اجل الديمقراطية ودفاعه المحموم عن حقوق الإنسان في كوريا الجنوبية، ولجهة تعرضه للمطاردة والاعتقال والدسائس على يد الديكتاتورية العسكرية قبل عام ١٩٨٧، فانه من زوايا أخرى عدة بدا كما لو كان نقيضا له قبل أن نصل إلى مرحلة ما بعد خروجه من القصر الرئاسي والتي تشابهت مع ملامح مرحلة خروج "روه مو هيون" لجهة اتهامه بالتورط مع زوجته في فضيحة رشاوى بمبلغ ستة ملايين دولار أمريكي تلقتها الأخيرة من صاحب مؤسسة كورية جنوبية عاملة في إنتاج وتصدير الأحذية يدعى "بارك يوونغ تشا"، رغم إصرار الرئيس روه على نفي تورطه في هذه العملية أو علمه بهذا إلا بعد عام من خروجه من البيت الأزرق.

وأول ما يمكن الإشارة إليه في سياق الاختلاف ما بين روه مو هيون المولود في قرية كيمهاي بالقرب من بوسان (ثانية كبرى مدن كوريا الجنوبية) في عام ١٩٤٦ وسلفه الليبرالي الحائز على جائزة نوبل للسلام، هو أنه لم تتح للأول ما أتيح للثاني من ثقافة واسعة وشهادات أكاديمية عالية وإطلاع ميداني على العالم الخارجي. فسبب من انتماء روه مو هيون إلى عائلة فقيرة تعمل في زراعة الخوخ وتربية الدجاج لم يجد الرجل من يساعده على إكمال دراسته العالية في أعقاب تخرجه من مدرسة بوسان التجارية الثانوية في عام ١٩٦٦. وهكذا اضطر إلى مزاولة أعمال مختلفة بأجور زهيدة في النهار والانكباب على تعليم نفسه بنفسه أثناء الليل.

وبعد رحلة معاناة وشقاء، تمكن في عام ١٩٧٥ فقط من اجتياز امتحانات رسمية صارمة منح بعدها شهادة في القانون خولته للعمل كمحام. وعلى الفور ارتبط من خلال مكتب المحاماة الذي أسسه في بوسان بقضايا التعذيب والفصل التعسفي والمطاردة والاعتقال التي كان أبطالها عمال وطلبة راديكاليون متهمون من قبل السلطة الديكتاتورية العسكرية بتقويض الأمن القومي أو التعاطف مع نظام كوريا الشمالية.

وسرعان ما ذاع صيته في أصقاع كوريا الجنوبية، لا سيما بعد دفاعه عن المتظاهرين في بوسان في عام ١٩٨٢. إلا أن هذه الشهرة كانت وراء اعتقاله في عام ١٩٨٧ بتهمة تحدي نظام الرئيس "تشون دو هوان" والتحريض ضده، وكانت أيضا وراء إلغاء الترخيص الممنوح له للعمل في سلك المحاماة بحجة تأييد العمال المضربين في أحواض بناء السفن الكورية.

وطبقا لأحد مدرسيه، كان الطالب روه مو هيون أثناء سنوات دراسته متقد الذكاء، سريع البديهة، ومجتهدا في المواد كافة، بل ولافتاً للنظر وقت عرض أفكاره، لذا لقب من قبل أقرانه بالبقلة ذات النواة كناية عن صغر حجمه وصلابته في آن. وفي عام ١٩٦٠ حينما كان في الرابعة عشرة من عمره قاد زملاءه في المدرسة إلى الإضراب والاعتصام احتجاجا ضد كتابة بحوث إجبارية تمجد رئيس البلاد ونظامه الاوتوقراطي. أما هو فقد وصف نفسه في كراسة مذكراته بالتلميذ البارد والمتقد في الوقت نفسه موضحا أنه كان يجتهد ويؤدي ما عليه لكن درجاته كانت في هبوط مستمر بسبب هروبه المتكرر من المدرسة للتدخين واللهو.

وإذا ما انتقلنا الى موضوع آخر هو موضوع دخوله العمل السياسي، نجد أنه كان أيضا على النقيض من سلفه الذي انغمس في السياسة منذ شبابه المبكر. ذلك أن أول عهد "روه مو هيون" بالاشتغال رسميا بالسياسة يعود الى عام ١٩٨٨ حينما وظف شهرته كمحام ومدافع عن المظلومين لنيل عضوية الجمعية الوطنية عن دائرة بوسان. ومن خلال هذه العضوية وبالتالي الاشتراك في لجنة تحقيقات برلمانية حول فساد عهد الرئيس "تشون دو هوان" وخروقه الفاضحة لحقوق الإنسان حقق شهرة إضافية وصارت صوره وتصريحاته الجريئة تحتل مانشيتات الصحف وبرامج التلفزيون. وفي هذه الأثناء كان مرتبطا سياسيا بـ"كيم يونغ سام" المدافع الشرس عن الديمقراطية والحريات و الذي صار لاحقا أول رئيس لكوريا الجنوبية بعد زوال حكم العسكر المختفي بثياب مدنية. لكنه انفصل عن الأخير في عام ١٩٩٢ احتجاجا على ما أعتبره مهادنة كيم يونغ سام للسلطة المحافظة الفاسدة.

وقد انعكس انفصال الرئيس الكوري المنتحر سياسيا عن الرئيس الأسبق "كيم يونغ سام" في خسارة الأول لمقعده النيابي في انتخابات عام ١٩٩٢ وعدم الفوز في انتخابات أخرى لاختيار عمدة لمدينة بوسان، قبل أن يفوز مجددا بعضوية الجمعية الوطنية في انتخابات عام ١٩٩٨ كمرشح عن حزب الألفية الديمقراطي حديث التشكيل بقيادة "كيم داي جونغ". وهكذا، فبعيدا عن عضوية البرلمان لدورتين غير متتاليتين ومنصب وزير الشؤون البحرية وصيد الأسماك لمدة ثمانية أشهر ما بين ٢٠٠٠ – ٢٠٠١ لم يمتلك روه وقت دخوله البيت الرئاسي الأزرق تجارب كبيرة في السياسة والإدارة. هذا ناهيك عن قلة معرفته بالخارج كونه لم يغادر بلاده إلا نادرا، بل لم يزر حتى الولايات المتحدة الأمريكية التي هي عادة محجة كل النخب و الساسة في كوريا الجنوبية.

والاختلاف ما بين روه و سلفه امتد إلى الشق العائلي في سيرتيهما. فعلى العكس من "كيم داي جونغ" المقترن بسيدة تجري في عروقها الدماء الزرقاء، اختار روه شريكة حياته قبل ثلاثين عاما من مسقط رأسه الفقير، فتزوج بابنة فلاح هي "كوون يانغ سوك" التي أنجبت له الابن "روه جيون هو" (٢٩ عاما) والابنة "جونغ يون" (٢٧ عاما).

وعلى حين ثبت لاحقا بالدليل مدى عشق أبناء "كيم داي جونغ" للثروة والنفوذ، بدا أبناء روه مصممين على مواصلة حياتهم كمواطنين عاديين بعيدا عن البيت الأزرق ورفاهيته وخدماته وبروتوكولاته. فالابن المتخرج من جامعة يونسي ظل يعمل كمسؤول عن البرمجة والمعلوماتية في شركة ال جي الشهيرة لصناعة الأجهزة المنزلية والإلكترونية مفضلا مواصلة حياته على ذلك النحو. أما الابنة المتخرجة من جامعة هونغيك والحاملة لشهادة في التاريخ فاضطرت إلى تغيير مكان عملها في السفارة البريطانية في سيئول بمجرد فوز والدها بالرئاسة بعدما صار من غير الملائم أن تعمل ابنة رئيس البلاد في سفارة دولة أجنبية. لكن أمهما، السيدة الأولى، بدت مختلفة. إذ قادها طموحها إلى الاثراء السريع إلى استغلال موقعها كزوجة لرئيس البلاد في الحصول على الرشاوى والصفقات فبذرت بذلك بذرة السوء التي ستلطخ سمعة زوجها وأسرتها إلى الأبد. وهناك من يقول أن الرشوة التي تورطت فيها هذه السيدة يفوق مبلغها ٦ ملايين دولار، بل هناك من يزعم أن أموالا أخرى قدمت من صاحب شركة الأحذية المذكور أعلاه "بارك يوونغ تشا" إلى ابنها وابنتها، ناهيك عن أن شقيقا للرئيس المنتحر كان قد اتهم سابقا بقبض عمولات ورشاوى من الشركة ذاتها مقابل تعيين أحد أقارب صاحب الأخيرة في وظيفة عليا بمصلحة الضرائب.

وهكذا أصبح الرئيس الذي وصف في وقت من الأوقات بأبراهام لينكولن كوريا في إشارة إلى نضاله الطويل من اجل العدالة والمساواة والشفافية والنزاهة ودفاعه عن حقوق المظلومين والمضطهدين ودعوته المتكررة إلى تحقيق توزيع أفضل للثروة ومحاربة البطالة المتزايدة والفساد المتفشي وإصلاح سلطات الرئاسة، ناهيك عن عمله الدؤوب من اجل إبعاد شبح الحرب عن شبه الجزيرة الكورية عن طريق مواصلة ما بدأه سلفه من انفتاح على بيونغيانغ من خلال ما عرف بسياسة "الشمس المشرقة".. أصبح صاحب سيرة ملطخة، ولم ينفعه كل ما قدمه لبلاده وشعبه من جهود ومواقف، وخصوصا جهوده لجهة الحيلولة دون وقوع تصادم عسكري ما بين واشنطون وبيونغيانغ تكون كوريا الجنوبية ساحته، وذلك حينما وصلت علاقات العاصمتين إلى مرحلة حرجة في السنوات الأخيرة بسبب إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على أن تجمد كوريا الشمالية قدراتها وبرامجها النووية، وإصرار الأخيرة على أنها لن تفعل ذلك قبل وقف الأميركيين للغة التهديد والعودة الى التفاوض.

إزاء هذا الوضع، لم يجد الرجل بدا من وضع نهاية لحياته فاختار أن يمحو التشويه والمهانة التي طالت صورته كرئيس نزيه ومدافع صلب عن العدالة والشفافية بطريقة مأساوية محزنة هي الانتحار قفزا من تلة قريبة من منزله في مسقط رأسه في بوسان (الأمر الذي أدى إلى إصابته قاتلة في الرأس) وذلك بعدما ترك رسالة على جهاز حاسوبه الخاص يقول فيها: "إني أدين للكثير من الأشخاص. أشخاص كثيرون عانوا بسببي وأنا لا أستطيع أن أتصور الآلام التي سيمرون بها في المستقبل"، وأضاف "لا يمكنني تخيل الآلام التي لا تحصى والتي ستواجهها بقية عائلتي". وفي فقرة أخرى قال الرئيس السابق المنتحر "لا تحزنوا. أليست الحياة والموت من الطبيعة.. لا تشعروا بالأسف ولا تلقوا باللوم على أي احد. هذا هو القدر. رجاء احرقوا جثماني، ورجاء ضعوا شاهدا صغيرا على قبري قرب منزلي. فكرت كثيرا في هذا الأمر".

إن المفارقة الماثلة أمامنا هي أن كل الزعماء الكوريين الخمسة الذين انتخبوا منذ العمل بالدستور الديمقراطي في عام ١٩٨٧ وتعاقبوا على السلطة، دخلوا إلى البيت الأزرق وهم يحملون تاريخا ناصعا في البذل والعطاء والنضال أو وهم على قدر كبير من العلم والثقافة الرفيعة والتجربة الثرية، لكنهم خرجوا جميعا من السلطة بسمعة ملطخة بعار الفساد، الأمر الذي يضعنا أمام ظاهرة صعبة التفسير (وان عزاه المحلل السياسي الكوري "لي بيول تشول" زميل معهد السلام والتعاون في سيئول، وهو معهد استشاري محايد إلى ثقافة الفساد المتفشية في كل مفاصل الدولة والمجتمع حتى وصلت إلى السلطة التي يجب أن تكون في منأى تام عنه وتعاقب المتورطين فيه ألا وهي السلطة القضائية، فيما أرجعه الأكاديمي "كيم سونغ هاك" إلى الثقافة الكونفوشوسية التي تراعي الضمانات الاجتماعية غير المكتوبة، بمعنى أن رأس الحكم أو الإدارة مسؤولان شفاهة عن تقديم تسهيلات وضمانات للرعية مقابل قيام هؤلاء بدفع الثمن له في أشكال مختلفة مادية وغير مادية مثل الولاء والطاعة وتجنب الخيانة.

و من ناحية أخرى علق محلل كوري آخر على الواقعة قائلا: "إذا كانت السلطة مفسدة، فان على الكوريين الجنوبيين أن يكونوا شاكرين لأن خمسة من رؤسائهم المنتخبين منذ ميلاد الديمقراطية في عام ١٩٨٧ لم يمتلكوا من القوة والنفوذ المطلق ما يساعدهم على إخفاء فسادهم في بلاد اعتادت أن ينخرط مدراء شركاتها وأقاربهم وزوجاتهم وأبناؤهم وبناتهم في أعمال الفساد، كل بحسب ما تحت يديه من سلطات ونفوذ وصلاحيات، بل في بلاد اعتادت صحافتها أن تشير إلى مثل هذه القضايا قبل التأكد منها وتجعلها مادة دسمة للقيل والقال".

وهذا صحيح، فالأموال التي يقال أن روه وزوجته قد تلقوها من رجل الأعمال "بارك" على سبيل الرشوة مقابل تعيين أسماء معينة في مناصب رفيعة، لا تقارن من حيث الضخامة بمئات الملايين من الدولارات التي استولى عليها الرئيس العسكري الأسبق "تشون دو هوان" في أعقاب اغتيال باني نهضة كوريا الجنوبية الصناعية الديكتاتور "بارك تشونغ هي".

وحينما جاء الرئيس "روه تاو وو" (الذي وضع البلاد على طريق الديمقراطية تحت ضغط احتجاجات الطلبة وتظاهراتهم في حزيران/يونيو ١٩٨٧) إلى سدة الرئاسة خلفا لزميله في الكلية العسكرية "تشون دو هوان" قيل أنه حال دون ملاحقة الأخير بتهم الفساد مقابل حصوله منه على بلايين الدولارات.

وكما هو معروف فان كلا الرئيسين (تشون دو هوان وخلفه المباشر روه تاو وو) أجريت لهما محاكمة في كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٩٢ أثناء عهد أول رئيس مدني منتخب منذ زوال الديكتاتورية العسكرية، ونعني بذلك عهد الرئيس "كيم يونغ سام"، لكن المحاكمة لم تكن ذات علاقة بفسادهما ونهبهما للمال العام، وإنما حول طريقة تعاملهما القمعي المفرط مع حركة الاحتجاجات الطلابية في جامعة "كوانغجو" والتي أدت إلى مقتل ما لا يقل عن مئتي طالب وطالبة بالرصاص الحي.

وقد حاول الرئيس "كيم يونغ سام" في عهده أن يظهر بمظهر الرئيس الحازم، صاحب الإدارة النظيفة والكف غير الملوث والسمعة الحميدة في اجتثاث الفساد والمفسدين من خلال جلبهم إلى القضاء، غير أن ما شجع الكثيرين على الاستخفاف به وبقراراته وبالتالي التمادي في الفساد والإفساد هو تورط ابنه "كيم هيون تشول" في فضيحة تلقي رشاوى من إحدى الشركات الصناعية العملاقة، وعدم قيام الرئيس بمحاسبته، ناهيك عن الأنباء التي شاعت حول قيام الرئيس نفسه بقبض رشاوى من مجموعة "كيا" العملاقة لصناعة المركبات وغيرها من الشركات مقابل دعوتهم لحفلات العشاء في القصر الرئاسي.

بعد ذلك جاء عهد الرئيس "كيم داي جونغ" الذي اعتبر علامة فارقة في تاريخ كوريا الجنوبية، ليس لأنه صاحب قدرات ومواهب سياسية وإدارية لم يحظ بها أسلافه فقط، لكن أيضا لأن سيرته كانت خالية تماما مما قد يمس ذمته، على العكس من كل أسلافه. غير أن الرجل كما أسلفنا غادر البيت الأزرق وسمعته أيضا ملطخة كنتيجة لانغماس أولاده الثلاثة في الفساد واستغلالهم لاسم والدهم في الاثراء غير المشروع. وحينما كان الرجل يستعد لمغادرة منصبه في عام ٢٠٠٣ كان الأولاد الثلاثة قد عدوا مذنبين من قبل المحكمة العليا بتلقي الرشاوى بصورة أو بأخرى. بعيدا عن فساد الأبناء، شاع أن الرئيس "كيم داي جونغ" نفسه دفع رشوة بمقدار نصف مليار دولار إلى الزعيم الكوري الشمالي "كيم جونغ ايل" من اجل أن يبعث الأخير إليه دعوة رسمية لزيارة بيونغيانغ، وكي يحفظ الرجل ماء وجهه أمام شعبه فلا يبدو كالمتوسل إلى ديكتاتور الشطر الشمالي بغية الترحيب به في بيونغيانغ.

آراء وأفكار Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com